(١)

الحياء من الله ومن الخلق ومن النفس شيمة الكرام وفطرة إنسانية سوية

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الكريم: {أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى}، وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وأَشهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمدًا عَبدُه ورسولُهُ القائل: (الحَيَاءُ مِنَ الإِيمَانِ، والإِيمَانُ فِي الجَنَّةِ)، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيه وعلَى آلِهِ وصحبِهِ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ، **وبعد**:

فإن الحياء من أعظم الأخلاق، وأجلها قدرًا، وأكثرها نفعًا، والحياء خلق، الحياء سلوك، الحياء خير كله، ولا يأتي إلا بالخير، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (الْحَيَاءُ لاَ يَأْتِي إِلاَّ بِخَيْرٍ)، وهو شعبة من شعب الإيمان، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ، أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا الله، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ)، ولولا الحياء لم يقر الضيف، ولم يوف بالوعد، ولم تؤد أمانة، ولم تقض لأحد حاجة، ولم يرع لمخلوق حقًّا، ولم يصل له رحمًا، ولا برَّ له والدًا.

ولقد بين نبينا (صلى الله عليه وسلم) أن الحياء من كمال الإيمان، فمن قلَّ حياؤه قلَّ إيمانه، يقول (صلى الله عليه وسلم): (الحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ، وَلا إِيمَانَ لِمَنْ لا حَيَاءَ لَهُ)، وتخلُّق الإنسان بالحياء دليل على حسن أدبه، وطيب سلوكه، وصلاح ظاهره، ونقاء سريرته، وقد قيل في قوله تعالى: {وَلِباسُ التَّقْوى ذلِكَ خَيْرٌ}: "لباس التّقوى الحياء"، وقال سيدنا عمر بن الخطابِ (رضي الله عنه): "مَنْ قَلَّ حَيَاؤُهُ قَلَّ وَرَعُهُ، وَمَنْ قَلَّ وَرَعُهُ مَاتَ قَلْبُهُ"، كما أن الحياء معيار الأخلاق الحسنة، وهو خلق الإسلام، يقول (صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ): (إِنَّ لِكُلِّ دِينٍ خُلُقًا، وَخُلُقُ الإِسْلَامِ الْحَيَاءُ).

ولا أدعى لرفعة شأن الحياء، وبيان قدره من أنه صفة نبينا (صلى الله عليه وسلم)؛ فقد كَانَ (صلى الله عليه وسلم) أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا، حتى صار في حيائه مضرب الأمثال، يقول (عز وجل): {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ}.

والحياء درجات، أعلاها: الحياء من الله تعالى، وهو يتحقق بمراقبة العبد ربه (عز وجل)، يقول (صلى الله عليه وسلم): (اسْتَحْيُوا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ)، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا لَنَسْتَحْيِي وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، قَالَ (صلى الله عليه وسلم): (لَيْسَ ذَاكَ، وَلَكِنَّ الاِسْتِحْيَاءَ مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ: أَنْ تَحْفَظَ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى، وَتَحْفَظَ الْبَطْنَ وَمَا حَوَى، وَتَتَذَكَّرَ الْمَوْتَ وَالْبِلَى، وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدِ اسْتَحْيَا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ)، فإذا علم الإنسان أن الله يراه ومطلع عليه، أورثه ذلك حياءً منه تعالى، فيقبل على الفضائل، ويترك الرذائل، يقول يحيى بن معاذ (رحمه الله): "من استحيا من اللّه مطيعًا، استحيا اللّه (عز وجل) منه وهو مذنب"، وقد قال رجل لرسول الله (صلى الله عليه وسلم): أَوْصِنِي، قَالَ (صلى الله عليه وسلم): (أُوصِيكَ أَنْ تَسْتَحِيَ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، كَمَا تَسْتَحِي مِنَ الرَّجُلِ الصَّالِحِ مِنْ قَوْمِكَ).

* * *

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين.

ومن صور الحياء: الحياء من الخلق، وهو الذي يمنع صاحبه من أن تقع أعين الناس على ما يعيبونه عليه، ومن أن يقترف ما يشينه؛ فيصغر في أعينهم، أو ينتزع ما

في أيديهم بسيف الحياء، وقد قالوا: ما أُخذ بسيف الحياء فهو حرام، ولزوم الحياء من الخلق يعود صاحبه على فعل محمود الخصال، والابتعاد عن سيئ الصفات، ويورث استحياء العبد من الله تعالى، يقول ابن مسعود (رضي الله عنه): "مَن لا يستحيي من النّاس، لا يستحيي من اللّه".

ومن صور الحياء: الحياء من النفس، وهو عدم رضاء النفوس الشريفة بالنقص، وهو دليل على احترام الإنسان لنفسه، يقول أحد العلماء: "من عمل في السر عملًا يستحي منه في العلانية، فليس لنفسه عنده قدر ".

إن الحياء من الله تعالى ومن الخلق ومن النفس من المشتركات الإنسانية التي أجمعت عليها جميع الشرائع السماوية، ولَم تُنسخ في أي ملة من الملل، فهو فطرة إنسانية سوية، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلامِ النُّبُوَّةِ الأُولى: إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ)، فما أحوجنا إلى التخلق بهذا الخلق الذي لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه.

اللهم اهدنا لأحسن الأخلاق، إنه لا يهدي لأحسنها إلا أنت.